

الالتزام الإسلامي في الشعر العربي في بلاد يوربا، نيجيريا
AL-ILTIZAM AL-ISLAMI FI ASY-SYI'R AL-'ARABI FI
BILAD YORBA NIGERIA

Lateef Onireti Ibraheem

Department of Arabic University of Ilorin Nigeria

Email: oniretiola@hotmail.com

الملخص

الالتزام قضية مهمة في مذهب الأدب الإسلامي، الأدب الذي يصور الخالق والكون والإنسان وفقا لتعاليم الإسلام وقيمه. فالأدب العربي في نيجيريا بصفة عامة وفي بلاد يوربا بصفة خاصة يجب أن يتصف بهذه الصفات، ولذلك درس هذا البحث أعمال شعراء بلاد يوربا، نيجيريا، من حيث الالتزام الإسلامي. توصل البحث إلى أن أكثر الشعراء اليورباويين التزموا بالإسلام تعاليمه وقيمه ومنهجه في أعمالهم الأدبية إلا أن بعضهم تجاوزوا حد الالتزام بالمبالغة والإفراط في المحبة وعدم الصدق في العاطفة وتجريح حق الغير وإيراد التشبيه بالمحرمات. إلا أن ذلك لم يبلغ مبلغا يخرجهم من حوزة الإسلام، ولا أدبهم من الأدب الإسلامي، بل جعلهم أدباء ملتزمين في بعض القصائد وغير ملتزمين في غيرها. فأعمال الأدباء اليورباويين شعرها ونثرها تحتاج إلى دراسة مفصلة على المنهج الإسلامي لتمام فهمها وتحقيق قيمتها وتقدير جهود المقتصدين من أصحابها وردّ جماع المنحرفين منهم عن غيهم.

Abstract

Consistency is a vital aspect of the school of thought of Islamic literature, the brand of Literature which creatively presents the Creator, the Universe and Man in accordance with Islamic teachings and values. The aim of this research is to study the level of adherence of poets in Yorubaland to Islamic teachings and

norms in their works. To achieve this, it selected four themes of Arabic poetry, eulogy, elegy, love and political poetry. It shows that most of Yoruba poets adhere strictly and consistent with the teaching of Islam in their works, while very few of them were not consistent. It was due to their involvement in exaggerations, false motivation, trampling on the right of others, and drawing analogies from forbidding things like alcohol. These aspects, however, does not stripe their works from being branded Islamic literature in any way, it only connotes that they only lack of consistency in their adherence to the teachings of Islam. The creative works of Yoruba literary figures need thorough research in order to be well understood, ascertain their worth, appreciate the consistent ones Islamically among them and guide the straying ones to the right path

Keywords: consistent adherence; Islamic literature; poetry themes; Yoruba literary figures

مقدمة

الأدب الإسلامي هو الأدب الذي ينبثق عن ذات مسلم، يصور الخالق والإنسان والكون من خلال تصور الإسلام لكل مما ذكر، لأن المؤمن الحق لا ينفصل عن ذاته عند التعبير عن فكره وفنه، وأن آثاره الأدبية ومعتقداته وأحلامه كلها ترتبط بتلك الذات القوية المتماسكة. فالأدب العربي في نيجيريا بصفة عامة، وفي بلاد يوربا بصفة خاصة يحمل هذه البصمة، لأن أصحابه تعلموا العربية أصلاً لأجل فهم الدين الإسلامي. ولكن هناك مؤثرات بيئية وثقافية أخرى تشارك في تكوين الأدباء وآدابهم في هذه المنطقة، فلذلك كانت الحاجة داعية إلى أن تغربل الأعمال الأدبية فيها لمعرفة مدى التزامها بالمنهج الذي رسمه الإسلام. لسد هذا الفراغ قمنا بهذا البحث. ونطاق البحث ينحصر في بلاد يوربا في الفترة بين ١٩٦٠ و ٢٠٠٩ م، وتناول من الأغراض الشعرية المدح والرثاء والغزل والشعر السياسي لضيق المقام.

مفهوم الالتزام في الأدب الإسلامي

قبل الخوض في دراسة الالتزام في الشعر العربي في بلاد يوربا يجدر بنا أن نجعل نقطة التوضيح على ماهية الالتزام في الأدب الإسلامي لنكون على بصيرة من أمره قبل تطبيقه على عمل أدباءنا فنقول:

الالتزام في اللغة، على حد قول الحسيني هو التعلق بالشيء والمداومة عليه وعدم مفارقتة. وفي الاصطلاح الأدبي هو أن يلتزم الأديب في أعماله الأدبية عقيدة من العقائد أو

مبدأ من المبادئ أو فلسفة من الفلسفات (الحسيني، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م: ٢٧). وبالنسبة للأدب الإسلامي فهو أن يلتزم الأديب المسلم بتعاليم الإسلام ومبادئه وقيمه في أعماله الأدبية، لا يفارقها مهما كانت الظروف. ورأى الكيلاني (١٤٠٧هـ: ٧٩) أن الالتزام في الأدب:

يبدأ بالنية الصادقة، والعزم الذي لا يتزعزع، وينطلق من ممارسات واقعية في مختلف جنبات الحياة، إنه وثام بين الإنسان ونفسه، وبينه وبين الآخرين، وهو يضم تحت جناحيه قيم الحياة الإسلامية وقوانينها أو أحكامها، وتصورات المؤمن لما يحيط به من كون وسنن، وحيوان وجماد ونبات، ويمتد ذلك التصور ليربط الحياة الدنيا بالآخرة، ومرجع ذلك كله هو كتاب الله وسنة رسوله. هذا، وقد تكون القصيدة ملتزمة وشاعرها غير ملتزم، وذلك إذا التزم الشاعر بالقيم الإسلامية في القصيدة وانحرف منها في غيرها. نضرب مثلاً لذلك في أحمد شوقي أمير الشعراء المشهور الذي نظم أشعاراً كثيرة رائعة ملتزماً فيها بتعاليم الإسلام مثل قصيدة «على نهج البردة» وغيرها ثم وجدناه في بعض قصائده يصف الخمر ويرغب الناس في شربه، فمنها قوله عند انصرام رمضان وأقبل العيد (الحسيني، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م: ٢٠٦):

رمضان وليّ، هاتها يا ساقى * مشتاقه تسعى إلى مشتاق
ما كان أكثره على آلافها * وأقله في طاعة الخلاق
الله غفار الذنوب جميعها * إن كان ثم من الذنوب يواقي
بالأمس قد كنا سجين طاعة * واليوم من العيد بالإطلاق
ضحكت إلي من السرور ولم تزل * بنت الكروم كريمة الأعراق
هات اسقنيها غير ذات عواقب * حتى نراع لصيحة الصفاق
صرفا مسلطة الشعاع كأنما * من وجنيتك تدار والأحداق
حمراء أو صفراء إن كريمها * كالغيد كل مليحة بمذاق
وحذار من دمها الزكي نريقه * يكفيك يا قاسي دم العشاق
لا تسقني إلا دهاقاً إنني * أسقي بكأس في الهموم دهاق
فلعل سلطان المدامة مخرجي * من عالم لم يحو غير نفاق

فالخمر محرمة في الإسلام وعقوبة من تناولها في الشريعة معروفة، والذي يساعد على تناولها آثم مثل شاربها، فشوقي بهذا زائع عن الالتزام.

ويجدر بالذكر أن هذا لا يعني أن من قال قصائد غير ملتزمة خارج من الإسلام، كلا بل لا يزال من المسلمين، فإنه بفعله قد خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وإن تاب فعسى الله أن يتوب عليه.

الالتزام الإسلامي في شعر المديح العربي في بلاد يوربا

كان الإعجاب والتقدير والحب والثناء والعرفان بالجميل من العواطف التي تدعو إلى قول المدح لدى الشعراء اليورباويين، وتختلف قوة إحساسهم وشعورهم تجاه هذه العواطف بناء على شخصية الممدوح ومكانته لديهم فلذلك نرى منهم من كان مقتصداً في تعبيره المدحي وفي شعوره، ونرى منهم من كان سابقاً بالخيرات بالالتزامه حد الإسلام في ذلك، كما نرى منهم من تجاوز حد التصور الإسلامي في وصف شمائل الإنسان والثناء عليه. فرسول الله الكريم ﷺ أكثر من نال المديح لدى اليورباويين لحبهم الأصيل له وإيمانهم بأنه رحمة للعالمين، وأن نجاتهم في الدنيا والآخرة في اتباعه، فلذلك نراه يطيلون في سرد صفاته وشمائله الطاهرة في قصائدهم، فمنهم من وصفه بالزمزمي الذي يعيش إليه، وبيدر يستضاء بنوره، وكهف يلجأ إليه الخائفون، وبشير للمؤمنين ونذير للكافرين، وهدي، وإمام للمرسلين، ونعمة ورحمة للعالمين، وغير ذلك من الأوصاف الحميدة، أمثال عبد الواحد أريبي جمعة (١٩٩٧م) الذي يقول في قصيدة بعنوان: «رحمة أنت»:

أيها الزمزمي أنت زمام * ظل زادا للراغبين الركوبا
كنت كالبدر عندنا وبشيراً * كنت عفواً للتائبين قريبا
كنت كهفا للخائفين حصينا * كنت كهفا للكافرين عصيبا
ثورة أنت بالوئام تحدث * صفحات أغر تحكي القشيبا
رحمة أنت ألفت مستقيما * ثم سنة بل كتابا غريبا
صبغة أنت في الأمام تسامت * ولديك ذاقت علانا نصيبا
لوحة أنت بالوقار تحلت * قرأت بها العالمون الضروبا
صفحة أنت في المثال تعالت * فوق رسل الله انتقيت نقيبا
نعمة أنت في الوجود استدعت * تتمناها الهود كيما نصيبا

استعان هذا الشاعر بالصورة البلاغية الرائعة ليتم تأثيره على القارئ والسامع مثل التشبيه بأنواعه في جعل رسول الله ﷺ بدرا يهدي العالم في ظلمة الجهل والجهالة، وكهفا وثورة ورحمة وصبغة ولوحة وصفحة بغير ذكر وجه الشبه وأركانه. وهذه الصفات مأخوذة من تصور الإسلام لشخصية رسول الله من غير مبالغة، وفي القرآن: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٧) الأنبياء: ١٠٧، إلا أن تشبيهه الرسول الأعظم، في البيت الأول، بالزام بيد راكب الحصان نقص لقدره العظيم، كيف يكون الرسول ﷺ لجاما بيد خلق من خلائق الله؟ فهذا يخالف تصور الإسلام للنبي ﷺ.

ومن أخلاقه التي استلهموها من القرآن والسنة الشريفة ومن أقوال السلف الصالح وسردها بغية الاقتداء بها لأنه المثل الأعلى، والحق يقول: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾ القلم: ٤، فمن هذه الأخلاق: الكمال والأمانة والوفاء بالعهد والصدق والصبر والرحمة والثبات والتخلق بالقرآن وتبليغ الرسالة وغير ذلك. نأخذ أبياتا من قصيدة محمد الثاني (١٩٩٩) بعنوان: «قصيدة ببل الصدى في مدح رسول الهدى» نموذجاً لذلك حيث يقول:

أجمل به من نبي خلقه عجب * ما يعتريه - طوال العمر - نقصان
عن خلقه قد أتت آي بلا عدد * بل خلقه فإذا قسناه - قرآن
وهو الأمين ولا يرضى الخيانة في * كل الشئون ولو ساءته أزمان
ما أخلف الوعد قط مجتبي عجا * وليس من طبعه إفك وبهتان
نعم الرسول وفي أحواله عبر * الصبر ملبسه والصدق تيجان
قد أرسل الله يس رحمة وهدى * للعالمين وفي الفرقان سلطان
فقد دعا قومه بالصبر والحكم * والصبر يعقبه روح وريحان
وكم يقاسي من الكفار فنتتهم * منها الحصار وتكذيب وعدوان
وبلغ المصطفى الهادي بلا فشل * رسالة الله لا يعلوها أديان
نعم الثبات ونعم الصبر يا سندي * يا خاتم الأنبياء للرسول معوان

بعد تعداد شمائل الرسول ﷺ الطاهرة كالأمانة والوفاء بالعهد والصبر والصدق وأنه رحمة للعالمين، قدر الشاعر تضحيته على تحمل الأذى من الذين لا يؤمنون ملتزماً في ذلك كله حدود الإسلام. ولكننا نرى بعض الشعراء اليورباويين، إما لأجل حبهم لرسول الله ﷺ أو الاقتداء ببعض أعلام مدحه ﷺ جاوزوا حد الإسلام في مدحه له حيث قال جمعة (٢٠٠٣م) في قصيدة معنونة بـ «يا مختار»:

يا رسول الله كن حجيبي * إنما أرجوك عن كتب
أين تمضي اليوم باخرتي * فيك يا مختار منتسبي
أنا في الإيمان مقتصر * عمل الخيرات أبطأبي
قائدى العملاق يا سيدي * فأليك الآن مقتربي
ضل عني اليوم مرتقبي * بل أعود الآن من عطبي
وأفوز الآن من ثقتي * بك يا مختار في الحلب
في عباب اللهو قد رسخت * قدمي الممقوتة الصبب
فصلاتي الطب أو سببي * بدوام الدهر والحقب

جزت الأسباب في سبلي * جئت أهدي إليك بالسبب
فاقبل الحيران يا أملي * وتداركني فأنت أبي
تأثر الشاعر في هذه القصيدة بالشيخ ناصر الكبر الكنوي في قصيدته التي استغاث
بها الرسول الله ومطلعها:

يا رسول الله خذ بيدي * وتداركني وأنت أبي
(أبو بكر، ١٩٧٢: ٦٠٣)

فعلى منواله سار هذا الشاعر، صور نفسه كمن أخطأ طريقه ثم صحا بعد الغي،
وتمنى أن اعتماده على الرسول ﷺ الهادي يساعده على الاستقامة والكمال فاستغاث به
لأنه أبوه، وقد حذر بوصيري المداحين للرسول ﷺ عن تجاوز حد الإسلام في مدحهم بقوله:
دع ما ادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف * وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
(بوصيري، د.ت.: ١١)

فالاستغاثة قضية لا تزال تثير الجدل بين العلماء ولا نريد التدخل فيها هنا، أما
ادعاء البنوة للرسول ﷺ لأمر كرهه الإسلام لأحد بعد أبنائه من صلبه وأمومة أزواجه.
فإذا قسنا هذه العثرة من الشاعر بما قاله عن رسول الله ﷺ أعلاه، وفي قصائده الأخرى
نحكم بأنه فقد الالتزام في هذا الصدد فقط، وأنه شاعر إسلامي.

إن قبة المدح، من حيث الكثرة، بعد المدح النبوي، تبنى على مساجد العلماء، لأنهم
ورثة الأنبياء. فالعواطف التي تثير وجدان الشعراء تجاه هذا اللون من المديح - بناء على
المعلومات المتوفرة لدينا - نابعة عن إعجابهم بالمدوح أو حبهم له، أو العرفان بالجميل
له، أو عن إرادة تهنئته على إنجاز حقيقه، أو الترحيب به، أو توديعه، أو تعريفه للناس، أو
تأييده على أعدائه أو خصمائه، أو إهداء العمل الأدبي إليه.

فكثيرا ما يعجب التلاميذ تضلع أساتذتهم أو شيوخهم في العلوم والفنون، ويبهرون
بحسن معاملاتهم لهم ويتعجبون من مدى جهادهم في نشر الدعوة الإسلامية، وجهودهم في
بذل الأنفس والنفائس في سبيل إعداد التلاميذ وإخراجهم من الأمية والجهل والجهالة، وقد
قرأوا في الكتاب والسنة وكلام العلماء الصالحين كثيرا عن مكانة العلماء ووجوب احترامهم
انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ فاطر: ٢٨، وفي قوله: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ المجادلة: ١١ وقول رسول الله ﷺ: « ... إِنَّ

الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ
أَخَذَ بِحَظِّ وَافِرٍ» (سنن الترمذي: ٤٨/٥، رقم ٢٦٨٢) وقول الشاعر:

إِنَّ الْمَعْلَمَ وَالطَّبِيبَ كِلَاهُمَا * لَا يَنْصَحَانِ إِذَا هُمَا لَمْ يَكْرَمَا

(الزرنوجي، ١٩٨١م. ص ٨٢).

فهذه الظاهرة تثير وجدان الشعراء الذين كانوا - ولا يزال بعضهم - طلاباً أو تلاميذاً أو مستفيدين من هؤلاء العلماء، ولا يجدون بداً من أن يعبروا عن شعورهم بالشعر المديحي تجاه شيوخهم.

ومن العلماء الذين نالوا نصيب الأسد من مدح الشعراء في بلاد يوربا، لآثارهم الباهرة في طول البلاد وعرضها، الشيخ آدم عبد الله الإلوري والشيخ محمد كمال الدين الأدبي. فقل أن تجد شاعراً في بلاد يوربا لم يذكرهما في شعره، ولذلك نأخذ نموذجين لهذا اللون من المديح مما قاله شاعران من كبار تلاميذهما.

يقول أبو بكر (٢٠٠٥م) في مدح الشيخ آدم الإلوري:

يا شيخنا النحرير حسبك رتبة * أن العيون إليك دوما تنظر
إرق المناير إنها لك واملأ الأدان * وعظا رادعا من يكفر
وازجر أناسا نوّما في غفلة * رعناء واعلم أن قولك ينذر
هل قام قبلك في المحافل عالم * يأتي بكل جديدة لا تنخر؟
من أين تأتيك العقول تسلسلا * في كل فن لا تجارى مبحر؟
والله قد أحسنت صنعك كله * لا عاش شانئك الذي هو أبتّر
يا وارثا للمجد من أسلافه * قل ما تحب فإن رأيك أزهر
الرأي رأيك لا تقول مفنداً * من قال «لا» فكأنه لا يبصر
إني بلوت الناس بلوا لم أجد * من كان مثلك بيد أني أصغر
فإذا كبرت فمستحيل أن أرى * إلا «البعاث» بأرضنا يستنسر»
يا صاحب الإسلام أنت متيم * في حبه تحميه كاد يكسر
لولا قيامك طاردا أعداءه * من وكره ليكون يوما يوسر
يا راجيا وجه الإله وأجره * عن هذه الأعمال حقا تؤجر
هل كان مثلك قارئ آياته * سبحانه ومبين ومفسر؟
رتل علينا ما تيسر إننا * نصغي إليك وكلنا نتذكر
وإذا بدأت قراءة فكأنها * صوت من المزمارة تصد

إني شربت الشهد حين قراءتي * لكن صوتي لا يزال يبعثر
الله يكثر مثله في قطرنا * نيجيريا بلد يمد ويجزر
يا شيخنا طابت حياتك إن لي * أملا بأنك في الحياة معمر
هذى القصيدة قوله من ذلك * التلميذ ذى عجز يقال ويعذر

فالقصيدة في سبعة وأربعين بيتا، وبالأسلوب الخطابي الذي يتصف به الشعر المديح استطاع الشاعر أن يظهر إعجابه بالمدوح كأنه واقف أمامه يخاطبه. أعجبه أن الأنظار اتجهت نحو شيخه، وأنه لم ير من يباري شيخه في الفصاحة عند إلقاء الخطب على المنابر خصوصا في يوم الجمعة وأيام العيد. كما أعجبه رده الكفار والمشركين عن ضلالتهم، والفجار والفساق عن غوايتهم إلى الدين الحنيف بزواج وعظه. وبأسلوب الاستفهام البليغ أفهمنا أن المدوح يجدد موضوعات خطبه ومواعظه ليعالج قضايا الساعة في مجتمعه وفي العالم. فعلى سبيل المثال، كانت الخطبة المنبرية في البلاد، قبل قيام المدوح الشيخ آدم عبد الله الإلوري بحركاته الدعوية الإسلامية، منفعة ضائعة حيث تلقى باللغة العربية على الأعاجم الذين لا يفهمونها، وكان الأئمة يكررون عددا من الخطب الموروثة من أسلافهم. فلما جاء الإلوري غير ذلك الأسلوب، فأخذ يكتب الخطبة بنفسه ويلقيها بالعربية ويقوم أحد تلاميذه بترجمتها إلى اللغة المحلية. وقد أصبح هذا الأسلوب شائعا في نيجيريا اليوم (إبراهيم، ٢٠١٢م: ٥٥٢). وعلاوة على ذلك فقد أبدع الإلوري أسلوبا خاصا للتغني بالقرآن والأشعار العربية الذي يعرف اليوم بـ «صوت المركز» (عبد الحميد وغيره، ٢٠٠٧م: ٥٧). أعجب الشاعر بأفكاره النيرة، وآرائه السديدة التي تنال الإقبال لدى الناس، فشبها بالأزهار التي تروق العيون وتلد النفوس، ويرى أن من يعارض شيئا منها فهو أعمى. ولكي نؤمن بأن الشاعر يمدح عن صدق العاطفة، وأن ما قاله عن المدوح حق و«...فإنَّ كُلَّ نَبِيٍّ نِعْمَةٌ مَحْسُودٌ» (الطبراني. الأوسط: ٥٥/٣، رقم: ٥٥٤٢). وأكد كلامه باليمين واستعان بالقرآن ليدعو على شائئيه.

كما أعجبه كذلك شغفه وحببه للنزاهة للإسلام الذي كان لديه بمثابة بيض يحميه ويزود عن حوضه بكل ما لديه من سلاح وعتاد، فقد جاهد في سبيله بنفسه ونفيسه ولا يرجو من ذلك إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى، و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٢٠) التوبة: ١٢٠. وأعجب الشاعر كذلك صوت شيخه الرنين الذي شبهه بمزمار من مزامير أهل داود. وحاول الشاعر أن ينال الصوت الرنين مثلته فاستعان بشرب العسل، لإيمانه أن رسول الله ﷺ قال بأن الشفاء في شرب العسل، كما في صحيح البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٦٨١).

ص ١١١٦) ودعا الله له أن يكثر أمثاله في نيجيريا وأن يطول عمره. فالشاعر كما رأينا ملتزم في القصيدة.

إلا أننا نشم رائحة الغلو في قوله: «والله قد أحسنت صنعك كلّه» في البيت السادس لعلّه يقصد بأنه أحسن في معظم أعماله، وليس في كله فالكمال - في الإسلام - لله وحده. وقد يشبه قوله:

هل قام قبلك في المحافل عالم * يأتي بكل جديدة لا تنخر؟

وقوله:

إني بلوت الناس بلوا لم أجد * من كان مثلك بيد أي أصغر

فإذا كبرت فمستحيل أن أرى * إلا «البغات» بأرضنا يستنسر»

حيث لا يرى عالما مثل شيخه يأتي بالأشياء الجديدة من العلوم والفنون، وأنه جرّب الناس ولم يجد من هو أعلى وأعظم مثل شيخه، قد يشبه هذه الأقوال مبالغة، ولكن بإمعان النظر نرى أن الشاعر لا يتكلم بصفة عامة بل يعبر أن شعور نفسه وتجاربه وقد يكون ذلك حقا دون مبالغة منه.

ومن الأوصاف والشمائل التي تتال إعجاب الشعراء من علماء بلاد يوربا إحوأؤهم التلاميذ وإسكانهم في بيوتهم أو في الرواق التابع لمدارسهم، وإغداقهم بالجود والكرم، ومعالجتهم إذا مرضوا، إضافة إلى التعليم والتربية والتثقيف التي يقدمونها لهم بأدنى مكافئة من أهاليهم أو بدونها أحيانا، وتليين الجناح لهم، وهدايتهم إلى سواء السبيل وغير ذلك. وعليه يقول عثمان محمد عبد السلام الثقافي (١٩٨٢م: ٣١) عن الشيخ كمال الدين الأدبي:

وفي منزل الحاج الكمال محمد * يجاد بأنهار وبدر ومكتب
وأعزب مقطوع الرجاء أقاله * من العثرة الكبرى ببكر ومركب
ترى الناس مغسولين بين بحاره * وكم قد مشوا في نوره نحو مكسب
وطبّه شاف للبلاد المريضة * واعرج داوى بالدوا ومعرقب
وهل بقيت في العالمين جماعة * تقول عمينا عن نداء المرطب
هداه صراط مستقيم مقوم * وليس بمعوج معيب مشذب
وأخلاقه لين وصبر ورأفة * وليس بكابوس ثقيل ومتعب
ألا هو صفو عبقرى مثقف * وليس بمختال فخور فينكبى
تراه رقيبا يستلان بحصنه * وطبا لأدواء الفؤاد المقلّب

وأعـمي بعين قد أعان وأقرع * بشعر وبكم باللسان وأجرب
 ذكي خبير يستعان برأيه * وكم عقدة للقوم حلّ ومصعب
 ورب سراب ظنه الناس مشربا * فلولا لم نعرف ولا نتمذهب
 وأنك بكر لا تجيب لخاطب * بدون صداق واحترام معجب
 وإنك بدر في ظلام لتائه * ورب وليد قد هديت وأشيب
 وكم راغب فيما لدى الناس مرغبا * سحبت إلى نهج الهدى أي مسح
 وكم من رجال في الخطاب تلجلجوا * أعنت ومن أشغالهم عند مرعب
 وإنك صياد حكيم محنك * وكم من أسود قد فرست وتعلب
 أدرت الولاة الغاشمين إدارة * وسست رعاها همهم عند مسلـب

بأسلوب رائع مفعم بالصور البلاغية أثبت الشاعر في هذه القصيدة أن التلاميذ ينالون من الشيخ كمال الدين الأدبي وأهله الكرم والعلم والدراسات الإسلامية والشفاء من الأمراض. وصور الكرم والجود كأنهار، والعلم كالنور والدراسات الإسلامية مثل المكتب. وذكر من شمائل الشيخ وصفاته التي تعجبه: لين الجنب، والصبر عند الشدائد، ومعاملة التلاميذ بالرأفة، وشفاء القلب، والتواضع وسداد الرأي، وأنه مستجاب الدعاء، ويطهر أدران القلب بالمواعظ والإرشاد، ويثقف العقول بالتعليم والتدريس، وقد أعدّ بذلك كله الخطباء والأئمة والدعاة. وهذه السجايا كلها من القيم النبيلة التي ينشدها الإسلام. وكلمة «ولا نتمذهب» في البيت الثاني عشر يقصد بها الشاعر أنه لولا إرشاد معلمهم الممدوح لا يتخذون مذهبا معينا من المذاهب كناية على أنهم لا يعرفون قشور العلم من لبابه أو لا يتميزون حقيقة الأشياء من مزيفها. إلا أننا نتوقع منه كأديب مسلم أن يرجع فضل ما حققه شيخه - كما وصفه - إلى الله القادر المقتدر.

ولكننا عثرنا على بعض قصائد أفرط فيها أصحابها في المدح، وفقدت بذلك عنصر الصدق، فمن أمثلة ذلك مدح عبد الباسط مشهود رمضان جبريل للحاج مدثر حمزة ماشا أو شيلوكن، يقول فيه:

أهلا بشيخ من لغوس ومرحبا * في أرض كيتو شمسها لن تغربا
 شيخ للغوس مدثر ذو كوثر * نالت به دنيا لغوس المطلبا
 وهو الولي ابن الولي مدثر * من ربه نال الولاية منصبا
 اختاره الله الكريم وليه * من خير جد كان قدما أطيبا
 قد ذاق أيام التفاني فيه إذ * عزل البرية فاصطفاه وقربا

سبحان من يختار عبداً بالذي * قد شاء فيه لما أراد وجذباً
قد جال فكري في البلاد وأهلها * هل مثل شيخي في المشيب أو الصبا
ما مثله فضلاً ومجداً في القرى * أو في المدينة صاح رمة مشرباً
ما في السماء كبدر ليل إن بدا * للمدلجين إذا أرادوا مذهباً

(جبريل، ٢٠٠٩م)

مدح الشاعر الحاج مدثر أنه ولي الله ابن ولي الله، والله هو الذي يختار من يشاء ولياً
ولا دخل للعبد في ذلك، لا يصح أن نزكي على الله أحداً، فالولاية لا يعرف بمجرد انكباب
أحد في الخلوة ولا بمدى إظهاره العبودية لله أو بخشونة مظهره أو بغزارة علمه، بل يقاس
بمدى صفاء قلبه وسريته وعلانيته وبإرادة الله وحكمته، وبذلك كان أمر الولاية غيباً،
والله ﴿ عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ (٦١) إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴿ الجن: ٢٦ -
٢٧ ﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ﴿ آل عمران: ١٧٩، وما
فيينا رسول! وإن كان «الرسول» بعموم المعنى كيف نعرف المرتضى؟ ثم قرر الشاعر بأنواع
أدوات التأكيد أنه ما مثل ممدوحه في الفضل من الصبيان والشيوخ، فذلك غلو ومجاملة،
لأنه تحجر الوسعي ولا يحبذ ذلك الإسلام فرسول الله ﷺ هو الذي يعز إيجاد مثله.

الالتزام الإسلامي في الرثاء العربي في بلاد يوربا

بناء على ما في متناول أيدينا من المعلومات الشعرية يشتمل الرثاء في الشعر العربي
في بلاد يوربا على رثاء العلماء ورثاء الملوك ورثاء الأغنياء ورثاء الأصدقاء والزملاء ورثاء
الأقارب الأصدقاء والزملاء ورثاء شعب ورثاء أشياء أخرى.

فرثاء العلماء هو الذي أخذ نسيب الأسد في الشعر العربي في بلاد يوربا لأن أكثر
الشعراء من تلاميذ هؤلاء العلماء والشيوخ، وللمكانة المرموقة التي يحتلها العلماء في
قلوبهم لإيمانهم أن «الذي يخشى الله من عباده العلماء» واعتقادهم أنهم «ورثة الأنبياء»
ولأنهم يتلقون العلوم من علمائهم من المهدي إلى اللحد، فإذا جاءت أحدهم المنية، حتى الذين
تقدموا في السن منهم، يأتيهم النعي كالصدمة الكبرى، وكثيراً ما يجعلهم في الحيرة حتى
يكاد يفقد بعضهم وعيه ويلجأ إلى شتم الموت في مقدمة رثائه، فمن هؤلاء عبد اللطيف
أولومي سعيد الذي يقول عند رثاء الشيخ عبد الله الصلاتي المتوفى في يوم الجمعة الموافق
٤/٧/٢٠٠٣م وعنوان القصيدة «يا موت ماذا»:

إذا توفي قبل العهد أجداد * فما الفخار الذي يأتيه أخفاد
بنى الورن لقد حلّ البلاء بنا * موت المشايخ في الأمصار يزداد

إلى أن قال:

يا موت ماذا على الأشياخ من حرج * تصيبهم حيث هم في الأرض أوتاد؟
هذا ترون بنى الأشياخ في حدث * لم يبلغوا الحلم هذا الموت فساد
هناك أزواجهم من بعد موتهم * صرن الأيامى فكيف العيش ينقاد
تبت يدا الموت ما أردى مشائخنا * كأن أشياخنا للموت أوصياد

ترى أن فكرة الشاعر في هذه الأبيات يخالف موقف الإسلام تجاه الموت، فالموت في الإسلام لا يأتي إلا بالأجل، فالقرآن يقول: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ﴿٣٤﴾ الأعراف: ٣٤، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ نوح: ٤، وقال أيضا: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَعْرِبِينَ ﴿٢٤﴾ الحجر: ٢٤. ففكرة الشاعر في قوله: «إذا توفى قبل العهد أجداد»

تعارض هذه الدلائل. وكذلك الموت يأتي من قبل ملك الموت الذي وكل بكل نفس، نلمس ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ بِتَوْفِيقِكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ السجدة: ١١ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنْتُمْ مُّوَجَّهَاتٍ﴾ آل عمران: ١٤٥، فإذا كان الشاعر يلعن الموت بـ«تبت يدا الموت» فكأنه لا يؤمن بالأجل ولا بملك الموت رسول الله، فكأن الشاعر -كما ظهر في القصيدة- ما دفعه إلى قوله إلا صدمة وفاة الشيخ الشاب وتعاطفه على أهله. وهذه هي التي أوقعته في حيرة، ولكن الصبر، كما قال رسول الله ﷺ، عند الصدمة الأولى (البخاري، ١٤٢٢هـ، ١: ٤٣٠، رقم: ١٢٢٣، ومسلم، ٢: ٦٣٧، رقم: ٩٢٦)، واللفظ للبخاري. وقد اهتدى الشاعر بعد ذلك إلى الرشيد حيث يقول:

يا قوم صبرا إذا جاءت مصائبنا * موت المشايخ في الإسلام إكساد
من ثلثة الدين موت الفاهمين ألا * مثل الصلّاتي الذي في العلم جواد
مات الصلّاتي الذي طابت مناقبه * عليه عفو مدى الأعصار يزداد
يا عبد لي يا صلّاتي في رثائك ذا * والله تأخذني في القلب أنكاد

(أولاوومي، ٢٠٠٦م)

نرى في هذه الأبيات أن الشاعر يعزى أهل المتوفى ويوصيهم بالصبر مع اعترافه أن موت المشايخ كساد للدين وأهله، كما نرى في البيت الأخير أن الحزن هو الذي أوقعه في الخطأ. وقد نرى الشاعر نفسه في قصيدة أخرى بعنوان «الموت سر الحياة» يؤكد أن الموت فرض على كل ذي نفس، وأنه يأتي بالأجل يقول:

سبحان ربّي خالق الأكوان * أننى عليه لأنه ربّانى

وعلى الرسول صلواته وسلامه * طه الذي يرثى له الثقلان
 إن المنون فريضة وأداؤها * حق على المخلوق في الأكوان
 وإذا قضى الإنسان فرضا عالقا * بحياته هذا من الإيمان
 وإذا أتت للمرء ساعة موته * لا تأخرن من الوفاة ثوانوقال:
 إن المنون هي الحياة بنفسها * مصداق هذا القول في القرآن

(أولاوومي، ٢٠٠٦م)

فبهذا يمكن أن نقول إن هذا الشاعر شاعر إسلامي ولكنه غير ملتزم.

إضافة إلى هذا، كان رثاء العلماء عند الشعراء اليورباويين يتضمن غالبا تعداد مناقبهم وأهميتهم للمجتمع والأدوار التي أدّوها في نشر العلوم العربية وتعاليم الإسلام وفي الجهاد في سبيل الله وبيان الهوة التي حدثتها وفاتهم، والتي يصعب سدّها. ويضيفون إلى ذلك تعزية أهلهم وتلاميذهم وشركائهم ومعاصيرهم أو تعزية الأمة الإسلامية إن كان العالم المتوفى علامة كبيرا مشهورا. وكثيرا ما يعقبون ذلك بالدعاء له بالرحمة والمغفرة والجزاء بالجنة كما نرى منهم من يختم بالوعظ والإرشاد أو النصيحة.

وهناك أساليب مختلفة يستخدمها الشعراء في تحقيق ذلك وكلها تتصف بعاطفة حرّة، فمنهم من يستعمل أسلوب طرح تساؤلات مثل محمد الجامع سعد الله عبد الكريم أسليجو في رثاء الشيخ كمال الدين حبيب الأدبي مفتي ديار إلورن المتوفى يوم الأحد ١٨/١١/١٤٢٦هـ الموافق ١٨/١٢/٢٠٠٥م ففي قسم الأول من قصيدته المعنونة: «مات العلا» يقول أسليجو (٢٠٠٥م):

من ذا يسلى القلب في تأموره * فالقلب في شجو لفقده سروره؟
 من للجهاد يحفظ جلّ أموره * ولقد أصيب بعظمه وطهوره؟
 من للهدى يهدى الأنام إلى العلا * فالصبح في غسق لغيبه نوره؟
 من ينصر الإسلام في أماله * فالدين في حزن لضعف ثغوره؟
 من يعضد الإنسان في إحسانه * ويحثه للخير بل كبشيره
 أو من يكون نذيره في شره * فالمرء في خسر لعدم نذيره
 من ذا الذي يحي شرائع أحمد * ولقد قضى المحي بخير شذوره
 من للفتاوى كان يكشف حجبها * من للمعالي في جميع عصوره
 من للواعظ تقررع الأسماع بال * تقوى وفعل العرف كل دهوره

فبأسلوب الاستفهام المؤثر الذي لا يتطلب الإجابة صور الشاعر إحساسه الحرّ تجاه المفقود، ووصفه بالمجاهد في سبيل الله، والهادي إليه، وناصره، وأنه دال على الخير، ويحي شريعة الله، وأنه واعظ مرشد بطريقة يجعل السامع والقارئ منفعلًا به، ويشعر أن الراحل جوهرة فذة يعزّ ايجاد مثله. إلا أنه وقع في غلو يقع فيه بعض شعراء العرب في قوله:

ألقى إلى الإسلام بعد كمالنا * قول السلام لأجل فقد نصيره

نرى أن الشاعر تأثر بالشاعر العربي القائل:

سلام على الإسلام بعد محمد * سلام على أيامه نضرات

(الإلوري، ٩٨٥: ٣٠)

فهذه الفكرة تخالف تعاليم الإسلام الخالصة، إذ قال الله جل شأنه: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة: ١٠٦)، وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ» (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٢: ٣٤، رقم: ١٠٤٣)، فالإسلام دين الله لا ينعدم بموت أي علم من أعلامه فإنه ما زال بعد وفاة الذي أرسل به محمد ﷺ بل:

فإننا لقوم كلما انكب كوكب * بدا كوكب تحوي إليه الكواكب

(الإلوري، ١٩٨٥).

وبالأسف الشديد كان هذه الفكرة شائعة في رثاء العلماء الأجلاء. فهذا شاعر آخر، عثمان محمد الأول النفاوي (١٩٩٢م) يقول في رثاء الشيخ آدم الإلوري:

هل من مثيل له ياقومنا انتبهوا * وأين من كان في السودان برهاننا؟

لو كان يوجد مثل آدم فغداً * من قال في قرننا هذا فبهتانا

إذا ودّعنا الإسلام بعد الشيخين أو لم نر لهما بديلاً فماذا تركا بعدهما من آثار؟ ألم تكن مجهوداتهم في إعداد حماة الإسلام هباءً منثوراً؟ فما فائدة الكتب والمدارس التي خلفاها؟ فالإطراء في المدح والغلو في إظهار التحسر لا توافق مع القيم الإسلامية. فالأشعار المعروضة أعلاه من الأدب الإسلامي إلا أنها زاغت عن الالتزام.

علاوة على هذا، فقد عثرنا على لون آخر من الرثاء في قصائد الشعراء اليورباويين يقف فيها الشاعر على مقبرة العلماء والصالحين فيدعو لهم ويستغيث بهم، فمن أمثلة ذلك قصيدة خليل الله محمد عثمان بودوفو (١٩٩٩) التي قال فيها:

هنا دار أهل العلم والدين والذكر * هنا قبر أحبّاب النبي ذوي البر

هنا أهل بودوفو الكرام فإنني * على بابهم أوقفت قصدي مع العذر

فقف برهة خير الوقوف لديهم * وسلم عليهم إنهم أمة الخير
 وخذ سورة الإخلاص تدعو بها لهم * عسى نفحة الإخلاص تأتي إلى القبر
 لقد نصروا الله على الدين وابتغوا * إليهم سبيل الرشيد بالزهد والصبر
 حث الإسلام على زيارة القبر والدعاء للميت، ولكن قضية الاستغاثة بالأموات لا
 يزال الجدل يجري عليه بين الأئمة والفقهاء، فلا نتدخل في ذلك هنا. أما أن يجعل الإنسان
 جميع أمنياته وحاجاته بباب مخلوق مثله كما عبر عنه الشاعر في هذه القصيدة فشيء
 خارج عن عقيدة الإسلام الصحيحة، لأنه عبارة عن الاستعانة بغير الله ويخالف ذلك ما
 يكرره العبد لربه دائماً في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥، ورسول الله ﷺ
 يقول فيما رواه ابن عباس وأخرجه الترمذي: «... إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ
 فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ» (الترمذي. ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م. ٤: ٧٦٦ رقم: ٦١٥٢) فالشاعر في هذه
 القصيدة إذن غير ملتزم.

الالتزام الإسلامي في شعر الغزل في بلاد يوروبا

كان الغزل من أغراض الشعر العربي القابلة لضيافة الفحشاء والمنكر لما فيه من
 وصف محاسن المرأة وذكر مفاتها الجنسية، ولكن تناوله بعض شعراء اليوروبا بدون
 معارضة تعاليم الإسلام. فمن هؤلاء أحمد (١٩٩٨م: ٢٥) القائل:

فدى قلبي لحفصة لا سواها * فقد سمحت لدخله حماها
 حماها يشتهيها الناس طرا * لما يكسوه من درر حلاها
 تدينها بلا شك وقاها * وزادتها ثقافتها وجاها
 بذات الضاد تنطق في هدوء * كعذب الماء تشربه شفاهها
 حياء الدين يكسبها جمالا * وكل الوقت تحجب في كساها
 تطالبها شريعتنا بزِّي * فصار الزِّي رغبة من رناها
 وحشمتها تدل على صلاح * وأبدع ذاك فيها من حياها
 إذا بكر تجمع ذاك فيها * تنور ليلها وصفا غداها
 إذا بكر كحفصة في حلاها * فأنت أحق من يبغي هواها
 ومن يظفر بحفصة من رجال * فصنعتة تباركها يداها

هذا الغزل رقيق وعفيف، التزم فيه صاحبه تعاليم الإسلام وقيمه بحسن اختيار
 الألفاظ والمعاني وبلاغتها. فالتدين، والثقافة العربية والإسلامية، وحسن الأخلاق هي التي
 حببت المرأة إلى الشاعر دون الجمال والغريزة الجنسية ودفعته إلى قول الغزل فهو نموذج
 ينعكس فيه اتجاه شعراء بلاد يوروبا في هذا الغرض.

ومع ذلك لحظنا في بعض معاني الشعراء في هذا الغرض ما يخالف تعليم الإسلام

على غرار ما لحظنا في شعر إبراهيم سعيد أولومي حيث قال:

رفيعة إني أصطفى لك قربتي * لأنك حقا كنت بدر السنينة
أكنن لك الإكرام فيما عرفته * وأسقيك ماء الحب في كل لحظة
لأنني أرى حظي وذوقى كله * بجسمك يا قلبي وروحي ومهجتي
ولم أر مذ ما كنت في الأرض صورة * تدانك حسنا أنت زينة روضتي
وإنك في وقت الضرام مكيف الـ * هواء بما تعطيني من مسرة
وإنك لي حين البرودة برودة * أغطى بها جسمي اتقاء المضرة
وصوت غناء منك يا روح نشوة * وأخلاقك الحسنة سرّ لفرحة
وضحكك سحر تسحرين فطانتى * به يا عروض النور في كل ظلمة
ومشيك إذ تمشين للقلب مسكر * لأنك تمشين الهوينى كظبية
وربك أعطاك المزية كلها * وأعطاك خلقا ذاك سحر المحبة
حروفك تعطيني إذا ما سمعتها * سرورا ينمي الروح بالحيوية
فراؤك ريحان وفاء فطانة * ويا يسارات وعينك عدتي
وتأوك تاج للحبيب وتحفة * رفيعة اسم فيه عين المزية
أكان الذي سماك إياه زوجتي * نبيّا أتاه الوحي من رب عزة
حروفك ترضيني بحب ورحمة * لذا كنت بعد السمع في حال رعدة
أحبك حبّ المرء ما فيه متعة * وروح وريحان أحسن زوجة
وكنت لمولانا العظيم مطيعة * لهذا غشتني فيك أنوار بهجة
فدومي لروحي جنة وأنيسة * وكوني كما كانت خديجة أسوتي
خديجة تغنيه عن الحب كلها * بلطف وأخلاق وفعل وقولة
وكانت له في كل شيء يريده * تزملة باللطف يوم المشقة
كفت هذه الأوصاف فضلا وميزة * فدومي بها أسقيك كأس المودة

(أولومي، ٢٠٠٩م: ٥٣)

لا يترك هذا الشاعر بأسلوبه الرائع أدنى ريب في قلب السامع والقارئ أنه مغرم بزوجته، وإذا أمعنا النظر في السجايا التي حببتّها إليه نراها مستمدة من الكتاب والسنة، يحبها لأنها توافر لديها كلما يبغيه في المرأة، فهي له سكينه، وذلك ما يعنيه قوله:
وإنك في وقت الضرام مكيف الـ * هواء بما تعطيني من مسرة

وذلك من إلهام قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴾ (١١) الروم: ٢١، ويحبها لأنها له لباس وستر، فهذا معنى قوله:

وإنك لي حين البرودة برودة * أعطى بها جسمي اتقاء المضرة
استعار ذلك من قوله تعالى: ﴿ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ ﴾ البقرة: ١٨٧. ويحبها لأنها ذات خلق حسنة صالحة ورسول الله ﷺ يقول: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ». (مسلم، د.ت، ٢: ١٠٩٠، رقم: ١٤٦٧)، ولذلك يقول عنها الشاعر:

وربك أعطاك المزية كلها * وأعطاك خلقا ذاك سحر المحبة
وخير من ذلك كله أنها مطيعة لأوامر الله، وصفة المرأة الصالحة عند الله هي:
﴿ فَالْصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ النساء: ٣٤، ولذلك قال الشاعر:

أحبك حبّ المرء ما فيه متعة * وروح وريحان أحسن زوجة
وكنت لمولانا العظيم مطيعة * لهذا غشتني فيك أنوار بهجة
ونلاحظ أن الوصف الحسي الموجود في القصيدة لم يتجاوز حد المروءة، الصوت والضحك والمشى، فهذه الأشياء يمكن للمرأة المسلمة أن تخفيها لغير زوجها إذا كانت كما وصفها الشاعر. إلا أن الشاعر قد يؤخذ عليه تشبيه مشي زوجته بمسكر، وذلك ينافي وتعاليم الإسلام، لأن كل مسكر في الشريعة حرام وهو رجز من عمل الشيطان يجب على من كان في قلبه إيمان وإسلام أن يجتنبه.

الالتزام الإسلامي في شعر الفخر السياسي

الشعر السياسي هو الشعر الذي يتضمن عدة أغراض مثل المدح والرثاء والوصف والفخر والتحريض والهجاء وغير ذلك، ويمتاز بحماسة حرة. ففي بلاد يوربا يصبغ شعرهم السياسي العربي، كغيره من الأغراض، بصبغة دينية إسلامية، إضافة إلى المدح والرثاء والتحريض والنصيحة، يشكو آلام شعب يوربا وشعوب نيجيريا كما يشكو آلام الأمة الإسلامية في العالم مما يظهر غيرتهم للإسلام وعشقهم للغته العربية. إلا أننا لاحظنا أن بعض الشعراء يلعن ويشتم عند المجادلة والمفاخرة. ولضيق المقام نكتفي ببعض أبيات من قصيدة فولنسو (٢٠٠٧م) بعنوان: «خذ حذارك يا أميريك» ففيه قال:

أبدا ترفرف في الأفق رأيتنا * وصوتنا بصدى يعلو وينسكب
الله أكبر والإسلام مكتمل * فليس يؤله قذف ولا غضب
دين بنى لصرح المجد أعمدة * ترنو النفوس إليها ثم تنقلب

دين منيع تعالى أن يطاوله * دين وعنوانه الإقدام والأدب
يا من يشير إلى الإسلام متهما * تبت يداك ومنك العقل يضطرب
فالله يشهد والأيام شاهدة * أنا على حقنا نغزو ونحترب
نرى أن حماسة الإسلام تلهب وينبثق من وجدان الشاعر بأسلوب رائع يجعل
السامع ينفعل مع الشاعر، ولكنه خالف إرشاد الإسلام في المجادلة حيث لعن وشتم من
يعادى الإسلام، والقرآن أدبنا بأن نجادل بالتي هي أحسن فقال: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ
بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥)، كما أدبنا أن لا نشتم الكافرين فيسبوا الله حيث
قال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٨)،
ونأسف أن يكون هذا دأب شعرائنا في الرد على أعداء ملتنا، وذلك مخالف للالتزام الإسلامي.

الخاتمة

خلال السطور السابقة حاولنا دراسة الشعر العربي في بلاد يوربا من ١٩٦٠ إلى
٢٠٠٩ بغية معرفة مدى التزام أصحابه فيه بمنهج الإسلام الذي ينتمون إليه. ولتحقيق
الغرض المنشود، لضيق المقام، اخترنا من الأغراض الشعرية المشهورة المدح والثناء والغزل
والشعر السياسي نماذج لدراستنا.
ففي آخر المطاف أدركنا أن أكثر الشعراء اليورباويين التزموا بالإسلام تعاليمه
وقيمه ومنهجه في أعمالهم الأدبية إلا أن بعضهم تجاوزوا حد الالتزام بالمبالغة والإفراط
في المحبة وعدم الصدق في العاطفة وتجريح حق الغير وإيراد التشبيه بالمحرمات والزيغ في
العقيدة. إلا أن ذلك لم يبلغ مبلغا يخرجهم من حوزة الإسلام ولا أدبهم من الأدب الإسلامي،
بل جعلهم أدباء ملتزمين في بعض القصائد وغير ملتزمين في غيرها. فأولى لهم أن يدخلوا
في السلم كافة ولا يتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين.

المراجع

- Abdul Hamid wa Ghouruhu. Asy-Syekh Adam Abdullah al-Ilwari Wa Manhajuhu
Fi I'dad Asy-Syu'ara'. *El-Harakah Jurnal Budaya Islam*. 9 (1). 51-69. DOI:
10.18860/el.v9i1.4666.
- Abu Bakar, Ali. 1972. *Ats-Tsaqafah al-Arabiah fi Nigeria min 1750 ila 1970 Am
al-Istiqlal*, (T 1). Beirut.
- Abu Bakar, Isa Albi. 2005. *Ar-Riyadh*. Ilorin, Nigeria: Alabi Printing Production.

- Ahmad, Sulaiman Adibayu. 1998. *As-Suthur Al'Athirah*, (T 1), Ilorin. Nigeria: Mathba'ah Ibrahim Kiuliri al-Islamiyah.
- Aribiy, Abd al-Wahid Jum'ah. 1997. *Rahmatan Anta*. Qashidah Islamiyyah bi Munasabah al-Ihtifal Bidzikra al-Mawlid an-Nabawi as-Syarif.
- Aribiy, Abd al-Wahid Jum'ah. 1997. *Burdah al'Ajam wa ya Mukhtar*. Markaz at-Ta'lim al-'Arabi al-Islami, Aghighi.
- Asaliju, Muhammad al-Jami' Sa'd Allah Abd Al-Karim. 2005. *Nadhmuha bit-Tarikh 18/12/2005 M*. Makhtuthah Tujad Lada as-Sya'ir.
- Bello, Abdul Ghani. 2007. *Khudz Hadzaraka ya Amerika*. Qashidah alqaha fi Usbu' as-Syaikh Adam Abdullah al-Ilwari al-Mun'aqad fi Markaz at-Ta'lim al-'Arabi al-Islami. Agiga. Lagos. Nigeria.
- Budofu, Khalil Muhammad Usman. 1999 M. *Qashidah bi 'Unwan: "Huna Dar Ahli al-Ilmi wa ad-Din wa adz-Dzikr"*. Makhtuthah.
- Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail. 1998. *Sahih al-Bukhari*. Riyadh: Bait al-Afkar al-'Alamiyah li an-Nashr.
- Al-Bushiri, Syarf ad-Din Muhammad. (DT). *Burdah al-Madiah al-Mubarak*.
- Al-Husaini, Nashir Abdurrahman. 1987. *Al-Iltizam al-Islamiy fi as-Syi'r*, (T1). Ar-Riyadh. Dar al-Ashalah Li tsaqofah wa an-Nasyr wa al-I'lam.
- Al-Hanbali, Ibn Rajab. 2001 M. *Jami' al 'Ulum wa al-Hikam*. Muassasah ar-Risalah.
- Ibrahim, Latif Oneriti. 2012. *Al-Lughat al-Arabiyyah wa Tsaqafatiha fi Nigeria min 1960 ila 2009*. *Al-'Arabiyyah Lughatan 'Alamiyah Mas'uliyah al-Fard wa al-Mujtama' wa ad-Daulah*. Kitab al-Mu'tamar. Beirut: Al-Majlis Ad-Dauli lil Lughat al-'Arabiyyah.
- Al-Ilwari, Adam Abdullah. 1985. *Lubab al-Adab*, Qism asy-Syi'r. (T2). Aghighi. Laghus. Nigeria: Mathba'ah ats-Tsaqafah al-Islamiyah.
- Jibril, Abd al-Basit Masyhud Ramadhan. 2009. *Qashidah at-Tarhib li munasabah Ziyaroh al-Hajj Mudassar Hamzah Masya Osyilakin Madinah Kitha Wimi Bilatu Bijumhuriyah Banin bi at-Tarikh 22/5/2009 M/ 27/5/1430 H*.

- Al-Kailani, Najib. 1407 H. *Madkhal Ila al-Adab al-Islamiy*. (T1). Qatar: Riasah al-Muhakim as-Syar'iyah wa as-Syu'un ad-Diniyah.
- Al-Lukhami, Sulaiman bin Ahmad. *Al-Mu'jam al-Awsath*. al-Qahira: Dar Al Haramain.
- Muhammad as-Sani, Muhammad Qasim. 1999. *Qashidah wabl as-Shada fi Madh Rasul al-Huda*. Qilat limunasibati Haflah al-Maulid an-Nabawi allati Aqamatha Madrasah Nun wa al-Qalam, yaum as-Sabt 14-8-1999 M. Badiya. Lajus. Abyatihi Itsnani.
- An-Nafawi, Usman Muhammad al-Ula. 1992 M. *Ritsa' Adam*. Qashidah Makhthuthat Tujad fi Maktabah as-Sya'ir.
- Olawomi, Abdul Lathif Saed. 2006. *Qatharat al-Khathir, Diwan*. (T1). Lagos, Nigeria.
- Olawomi, Ibrahim, Said. 2009. *Shadaf al-'Awathif, Diwan*. (T1). Lagos, Nigeria: Mathba'ah an-Nur.
- Ats-Tsaqafiy, Usman Abd as-Salam Muhammad. 1982. *Siraj al-Abid fi al-Mawa'idh al-Jamilah wa Madh as-Syaikh al-Fadhilah*. (T1), Ga Orima, Ilorin.
- Az-Zarnuji, Burhan al-Islam. 1981. *Ta'lim al-Muta'allim Thariq at-Ta'lim*. Tahqiq Marwan Qabbaniy, Beirut, al-Maktab al-Islamiyah.